المقتطف

الجزء الاول من المجلد الرابع والستين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٤ — الموافق ٢٤ جماد الاول سنة ١٣٤٢

نسيم بك برباري

نعينا الى قراء المقتطف منذ خمسة اشهر طبيباً من ابناء جامعة بيروت الاميركية كان آية في الذكاء واسداء المعروف وهو الدكتور وديع بك برباري . توفي غريباً وخلّف الحسرات لوالدته واشقائه . ولم يخطر على بال احد حينئذٍ ان يد الموت توافي اكبر اخوته قبل ختام السنة وتفجعنا برجل آخر كان من نجبة ابناء جامعتنا

نسيم برباري ابن الطبيب الذكر الخالد الاثر الاستاذ رزق الله برباري الذي كان مديراً لمدرسة عبيه العليا ايام كنا نطلب العلم فيها . عرفناه طفلاً في الطول الاول من عمره . الذكاء يتوقد في عينيه والفلاح مُعدٌّ له في بيئته . ربّي في بيت علم وفضل تحيط به جميع وسائل التعليم والتهذيب فنشأ حسب قانون الوراثة من والديه الفاضلين وحسب مقتضى البيئة التي زبي فيها بين المدارس والمكاتب يحيطه رجال العلم والفضل

اتمّ دروسه في جامعة بيروت الاميركية سنة ١٨٨٨ وكانت الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد قد ساءت التصرف في سورية فجعل رجالها يهجرون وطنهم لانهم لا يقوون على مقاومتها ولا على اصلاحها فلجأوا الى الهجرة ووجهتهم مصر واميركا واستراليا وجنوب افريقية وزيلندا الجديدة وهم يتمثلون مع من قال

هاجرْ اذا كان في الاوطان منقصة وجانب الذل ان الذل يُجتنبُ

هاجروا ولاسيما المتعلمون الذين ثقل عليهم احتمال العسف فهاجر الفقيد الى القطر المصري وكان بارعاً في اللغة الانكليزية يسهل عليه ان يمسك جريدة عربية ويقرأها كأنها انكليزية ويمسك جريدة انكليزية ويقرأها كأنها عربية فتيسّر لهُ

ان ينتظم في سلك الحكومة المصرية لاسيما وان العارفين بالانكليزية كانوا حينئذٍ قلالاً جداً. فدخل وزارة الاشغال تلميذاً بلا راتب ولما ظهرت كفاءتهُ والحاجة الى امثاله جُعل لهُ راتب معتدل ثم نقل الى وزارة الداخلية. فبذل جهدهُ في القيام بما يطلب منهُ. والعمل في الحكومة كثير على المكثر وقليل على المقل وهو من المكثرين ومن اشدهم اكثاراً فكان يعود الى بيته متأبطاً اوراقهُ ليتم في المساء ما لا يمكنهُ في ساعات النهار لاعمامهِ. وبلغ من ثقة رؤسائهِ بآرائهِ وسعة معارفهِ وحسن تصرفهِ في حل المشاكل ان صاروا يوقعون اوراقهُ كلها من غير النظر فيها ويؤيدون كل اقتراح يقترحهُ ومشروع يشير بهِ. واذا حلَّ فصل الاجازات واعطي اجازة مثل غيرهِ مضى الى اوربا لا ليعيش فيها عيشة الكسل بل ليدرس ويجول في الاماكن الطيبة الهواء حتى يزيد صحة عقلية وجسدية

ولما رأى ان منصبهُ في الحكومة يقتضي ان يكون على معرفة تامَّة بالقوانين اجهد نفسهُ في درس علم الحقوق في المدرسة الفرنسوية حيث يتعلَّم التلامذة من مستخدمي الحكومة عصر النهار وقدَّم الامتحان اللازم في باريس ونال دبلوم الليسنسيه لا ليشتغل بالمحاماة بل ليزيد كفاءة في قضاء ما يطلبهُ منهُ منصبهُ

وكان عضواً عاملاً في الكنيسة الانجيلية كما كان ابوهُ قبلهُ فدخل بيت القس اللاهوتي الدكتور هارفي واقترن بابنتهِ الآنسة الفاضلة لولو هارفي. والاميركيون لا يستحسنون في الشرق تزويج بناتهم بابناء الشرق كما هو معلوم ولاسيما بنات القسوس فهو الرجل الوحيد في هذا القطر والقطر السوري الذي اقترن بابنة قس اميركي. وهي مثلٌ امثل للزوجات الفاضلات فانها تنظر الى امهِ كأنها امها والى اخوتهِ كأنهم اخوتها وقد رزق منها ابنين وابنة

وكان شغوفاً بالعلم لم ينقطع عن مطالعة كتبهِ ولاسيما الكتب الفلسفية والاجتماعية ولهُ في المقتطف سلسلة مقالات في فلسفة الحب لخصها من كتاب فنك ونشرت في المجلد السابع عشر وسلسلة مقالات في علم الاجتماع (السيسيولوجيا) لخصها عن الفيلسوف هربرت سبنسر ونشرت في المجلدين ٢١ و٢٢ من المقتطف ومقالات اخرى كثيرة في المجلدات ١٥ و١٦ و١٩ و٢٦ وغيرها واماننا الآن مقالة منهُ موضوعها «معاملة الاميركيين للشعوب الاخرى» لم تنشر حتى الآن بدأها بقولهِ «ان الاميركيين شعب مطبوع على عمل الخير وحب العدل والانصاف ونصرة الضعيف

لا لغاية شخصية ولا لربح شخصي بل لوجه الله الكريم فارساليانهم ومدارسهم ومستشفياتهم وملاجئهم على اختلاف انواعها منتشرة في الصين واليابان والهند وايران وتركيا وافريقية واميركا الجنوبية وفي بعض انحاء اوربا واعمالهم في هذه البلدان المختلفة يقصد بها بالاكثر مساعدة الفقراء ومتوسطي الحال ولذلك كان التعليم في مدارسهم مجانيًا او باجور قليلة واكثر المصامين في الشرق من تلامذتهم لان الاميركيين ادركوا ان اول خطوة في اصلاح حال الشعب رفع مستوى الطبقة الفقيرة وتسهيل وسائل الارتقاء لابنائها » ثم ذكر الشواهد الكثيرة على صحة قوله

وكان شديد العناية بصحته حتى لو كانت الاجسام تعسّر على مقدار الاعتناء بها واجتناب كل ما يضعفها من مأكل ومشرب وتعرّض للآفات لعاش مائت من السنين. ولكن الناظر في امر الموت واعتدائه على كل قانون معروف لا يستطيع الا ان يقول مع من قال

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته من تخطىء يعمّر فيهرم

فان هذا الرجل الذي عاش عيشة الاعتدال التام في كل شيء ابتُلي بداء في اواخر الصيف الماضي لم يجد الطب له دواء حتى الآن فانحلّ جسمهُ رويداً رويداً لكنهُ كان غير اليم فقضى نحبهُ صباح الحادي والعشرين من دسمبر . قضى كهلاً ممتلئاً قوة عقلية واختباراً ناضجاً . قضى وهو متأهب لجلائل الاعمال واولادهُ اطفال وعليهِ ان يربيهم ويعلمهم . قضى والوطن في حاجة الى امثالهِ والرجال قليل . قضى وتركنا في حيرة مما تحاني هذه الاجسام . أكلُّ ما في الانسان من علم وخبرة أكلُّ ما فيهِ من قوة عقلية وجسدية عرضة لان تفتتر بعض الخلايا من جسمهِ وتفك قيودها فتبتليهُ بداء لا دواء لهُ او تنتابهُ اصغر المكروبات فتورده حتفهُ . فاذا لم يكن في الانسان غير هذا الجسم الفاني المعرض في كل لحظة للفناء فلا كانت الحياة

لكن فقيدنا مات على رجاء القيامة والخلود وهذا رجاء والدتهِ وزوجتهِ وكل ذويهما . وعسى ان تقوى الادلة التي تقنع كل انسان على ان وراء القبر عالماً تقيم فيهِ نفوس الابرار كما قامت الادلة على ان هذه الدنيا ليست بدار قرار

وقد احتفل بتشييع جنازة الفقيد ودفنهِ عصر السبت في الثاني والعشرين من دسمبر ولهُ من العمر ثلاث وخمسون سنة